الفصل الثالث

شروط وجوب الصوم الشرعية

الصيام أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يكتمل الدين إلاَّ بها، لقول النبي ﷺ:

«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[1]. والصوم عبادة بدنية، يؤدِّيها المسلم بنفسه، تقرباً لربه، وطلباً لمرضاته، ومن حكمة الله عزَّ وجلَّ، ورحمته بعباده، أن نوَّع لهم العبادات، لئلا تملَّ النفسُ الطاعة، وتنفر من العبادة، فلو كانت العبادة دائماً بالصلاة، والذكر، وتلاوة القرآن، ربما دخل إلى النفس المَلَلُ، ولهذا تنوعت العبادة في الإسلام إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ عبادة بدنية.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٨ ومسلم رقم ١٦.

٢ ـ عبادة مالية.

٣ ـ عبادة جامعة بين البدن والمال.

فالصلاة عبادة بدنية محضة، بأفعال معلومة، وأذكار محدودة، وحركاتٍ يأتي بها المصلي، من قيام، وركوع، وسجود، وتلاوة لآيات من القرآن، إلى غير ما هنالك من واجبات وأركان.. وكذلك الصوم عبادة بدنية، يؤديه المؤمن بنفسه، فيمسك عن الطعام، والشراب، والشهوة الجنسية، طلباً لرضى الله، وابتغاء الأجر والمثوبة.

أما الزكاة فهي عبادة مالية محضة، ليس فيها شيء من عمل البدن، إلاّ النية الصافية الصادقة، ينوي بها المؤمن، أداء ما فرض الله عليه من الزكاة.

أما الحج فقد جمع بينهما، جمع بين العبادة البدنية، والعبادة المالية، فالحاج يقدم بنفسه لأداء المناسك، من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ورمي الجمار، وكلها أعمال بدنية، وينفق المال في سبيل هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، فهو عبادة جامعة بين البدن والمال. وهكذا تتنوع العبادات في الإسلام وتتعدَّد، لتغذي الروح والبدن، وتجعل المؤمن في نشاط دائم مستمر، لا يتسلَّل إلى قلبه السَّأَمُ والملل، لأنه يتقلَّب بين أنواعَ عديدة من العبادات، فكرية، وروحية، وبدنية،

فتارةً يعبد ربه بالصلاة وتلاوة القرآن، وأخرى يعبد ربه بالصيام والقيام، وتارة ثالثة يعبد ربه بالسياحة في الأرض، والسفر لحج بيت الله الحرام، وهذا التنوع يزيد في التشوُّق للطاعة والعبادة، كمن يدخل حديقةً فيها أنواع الفواكه والثمار، فيجتني منها ما تشتهيه نفسه، أو يرى فيها أنواع الورود والأزهار، فيستمتع بأريجها، ولكل ثمرةٍ طعمٌ، ولكل زهرة رائحة تختلف عن غيرها، فتكون النعمة أشمل، والفرحة أبهج، ثم إن كل عمل يعمله المؤمن، يبتغي به وجه الله يكون عبادة له تقرِّبه من ربه، وتدنيه من حضرة القدس، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

«تعريف الصوم»

الصومُ لغةً: الإمساكُ والامتناعُ عن الشيء، يُقال: صام عن الكلام أي أمسك عنه، وصام عن الطعام أي امتنع عنه، قال تعالى إخباراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1] أي نذرت صمتاً وإمساكاً عن الكلام، وكان هذا جائزاً في شريعة بني إسرائيل. فكل من أمسك عن شيء يقال: صام عنه، قال الشاعر:

---

(١) سورة مريم: آية ٢٦.

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمة
تحت العَجَاج وأخرى تعلك اللُّجما

وشرعاً: هو الإمساك نهاراً عن جميع أنواع الطعام، والشراب، والشهوة الجنسية، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بنية العبادة لله عزَّ وجل.

ويعرِّفه الفقهاء: بأنه الامتناع عن شهوتي البطن، والفرج، وعن كل ما يدخل الجوف من غذاء أو دواء، سواءً كان نافعاً أو ضاراً، فالامتناع الكامل هو الصوم في الشريعة الغراء، تقرباً إلى الله، وابتغاء مرضاته.

«ما هي حقيقة الصيام»؟

وحقيقة الصوم: هو الكفُّ عن كل ما نهى الله عزَّ وجل عنه، أو نهى عنه رسول الله ﷺ من أنواع الموبقات والمنكرات، من الرَّفث، واللغو، والكذب، والغيبة، والنميمة، والكلام البذيء، وهذا ما نبَّهت عليه آية الصيام، وهي أن يتقي المؤمن محارم الله، وهي الغاية التي شُرعت من أجلها فريضة الصيام ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٣.

أي لعلكم تحصلون على مرتبة التقوى، التي هي ثمرة الصيام.

وكذلك نلحظ في هدي النبوة، هذا التوجيه النبوي الكريم إلى حقيقة الصيام، حيث أمر المصطفى ﷺ بحفظ الجوارح، وكفِّ اللسان عن محارم الله، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «والصيامُ جُنَّةٌ - أي وقاية وستر من نار الجحيم - فإذا كان يومُ صوم أحدكم، فلا يَرْفُث ولا يَصْخب - أي لا يتكلم بالفاحش البذيء، ولا يرفع صوته في الكلام - فإن سابَّه أحدٌ أو قاتَلَه، فليقل: إني صائم، إني صائم، والذي نفسُ محمد بيده، لَخُلُوفُ فَم الصائم - أي تغير رائحة الفم بسبب ترك الأكل والشراب - أطيبُ عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقيَ ربَّه فَرِحَ بصومِهِ»[1].

فليحذر المؤمن على صيامه، من الضياع وذهاب الأجر، بفعل ما يُسخط الله، فيكون حظُّه من الصيام الجوع والعطش، كما ورد في الحديث الصحيح «ربَّ صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوعُ، وربَّ قائم - أي متعبِّد للَّهِ بالليل - ليس له من قيامه إلاَّ السَّهَرُ»[2] وفي

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٩٤ ومسلم رقم ١١٥١.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم ١٦٩٠.

حديث آخر «من لم يَدَعْ قول الزور، والعمل به، والجهل - أي السَّفه - فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامه، وشرابه»[1].

إن الصائم الصادق، هو الذي يوطن نفسه على هجران الشهوتين: شهوة البطن، وشهوة الفرج، ويُلزم نفسه بتقوى الله، واجتناب محارمه، التي هي الغرض الأساسي من مشروعية الصيام، التي بينَّها القرآن أحسن بيان، بقوله سبحانه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فما لم ينل الصائم هذه المرتبة الرفيعة من مراتب الإيمان، لم يحصل على فضيلة الصيام، والله المستعان.

«متى فُرض الصيام»؟

في بدء الدعوة الإسلامية، لم يكن بمكة صيام، إنما فُرض الصيام بعد هجرة المصطفى ﷺ للمدينة المنورة، بعد أن أصبح للمسلمين دولة وكيان، وبعد أن رسخ في قلوب المؤمنين الإيمان، ففي السنة الثانية من الهجرة، فُرض على المسلمين صيام رمضان، ونزل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

(١) أخرجه البخاري ١/٣٢٦ وأبو داود رقم ٢٣٦٢.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1] ناداهم تبارك وتعالى بلفظ الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليُذْكي في قلوبهم شعلة الإيمان، ويحرِّك في نفوسهم مشاعر الخضوع والطاعة، فبدون هذا الشعور، لا يُقبل الإنسان على العبادة بالرغبة الصادقة، والرضى والاستبشار، وهذا وهو السرُّ في بدء كثير من الآيات التشريعية، بالنداء للمؤمنين بوصف الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابن مسعود: إذا سمعتَ الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فارْعَهَا سمعك، فإنه خيرٌ تُؤمر به، أو شرٌّ تنهى عنه.. يريد رضي الله عنه أنه بعد هذا النداء، يأتي الأمر بما فيه خيرٌ للمؤمن ليفعله، أو نهيٌ له عن شرٌّ ليجتنبه، فالخطاب بلفظ الإيمان يَسبق التكليف، بالأوامر أو النواهي، ليسارع المؤمن إلى امتثال أوامر الله برغبة وشوق، ولذا ذكرت هذه الصيغة، في تسع وثمانين آية، في أحكام مختلفة، ومواطن متعددة من القرآن الكريم.

«لفتات بديعة في آيات الصيام»

نبَّه الله تبارك وتعالى، عباده المؤمنين في آيات الصيام، إلى أمور ثلاثة:

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٣.

الأمر الأول: أن لهذه الأمة المحمدية في تشريع الصيام، أسوة بالأمم المتقدمة، فليست هذه الأمة وحدها هي التي فرض عليها الصيام، بل جميع الأمم التي سبقتنا جاءت فيها شريعة الصيام، لم تخل منها أمة من أمم المرسلين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ والتكليف إذا عمَّ هان.

قال الحسن البصري: إن الله تعالى فرض صيام شهر رمضان، على اليهود والنصارى قبلنا.. أمَّا اليهود فإنها تركت هذا الشهر المبارك، وصامت يوماً من السنة، زعموا أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وأتباعه، ونجَّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق..

وأما النصارى فأنهم صاموا رمضان، فصادفوا فيه الحرَّ الشديد، فحوَّلوه إلى وقت لا يتغيَّر من فصول العام، هو فصل الربيع، وقالوا: نزيد عليه عشرين يوماً نكفِّر به عمَّا صنعنا، فجعلوا صيامهم خمسين يوماً، وذلك بتوجيهٍ من رؤسائهم من الأحبار والرهبان، وفيهم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾..[1] الآية.

---

(١) سورة التوبة: آية ٣١.

الأمر الثاني: إن فريضة الصيام، ليست دائمة طيلة العام، كالصلاة مثلاً فإنها واجبة في كل يوم وليلة، وإنما الصيام مدته محدودة، وهو مختص بأيام معدودات، هي في مستطاع الإنسان وقدرته، وساعاته كذلك محدودة، من الفجر إلى غروب الشمس، وإليه الإشارة بقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ هي تسعة وعشرون يوماً، أو ثلاثون يوماً في السنة، لا تزيد على ذلك ولا تنقص، وهي نسبةٌ ضيئلة بالنسبة للسنة القمرية/ ٣٥٤/ يوماً، وهذا من رحمة الله بالعباد، أنه لم يرهقهم بالصيام كل شهر، أو طيلة العام.

الأمر الثالث: أن الله تعالى خصص رمضان المبارك بالصيام، تذكيراً للمؤمنين بالنعمة العظمى عليهم، بإنزال هذا الكتاب المجيد، في هذا الشهر العظيم ليكون دستوراً لهم في حياتهم، به عزُّهم ومجدهم، وفلاحهم ونجاحهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾[1] ومن المعلوم أن «رمضان» ليس من الأشهر الحرم، ولكنَّه أفضلها، لأنه شهر القرآن، فالله تعالى خصَّ الصيام بهذا الشهر المبارك، ليذكِّر عباده بقدر هذه النعمة «نعمة القرآن» وهو ما أشارت إليه آيات الصيام،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩.

إشارة لطيفة ساطعة ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾.. [1] الآية.

لم يقل تعالى: شهر رمضان من شهده منكم فليصمه، وإنما علَّل، وبيَّن ووضَّح، أنه الشهر الذي أنزل فيه هذا الكتاب السماوي، خاتمة الكتب الإلهية، فلذلك فرض الله صيامه علينا، وكأنه تعالى يقول لنا: إنما فرضت عليكم صوم شهر رمضان، من أجل أن تعرفوا نعمتي عليكم، بإنزال هذا الكتاب المبين، الذي به سعادتكم وفلاحكم في الدنيا والآخرة.

«فوائد الصوم»

للصوم فوائد عديدة، ومنافع جليلة، من الناحيتين: الروحية، والمادية.

● فالصوم يربِّي في المؤمن «مَلَكة التقوى» ويعوِّده على الخضوع والعبودية لله رب العالمين، وبالطاعة يستقيم أمر المؤمن، على الحقِّ الذي شرعه الله عزَّ وجل، وذلك لأن الصوم يُنمِّي التقوى، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وهي الضمان لاستقامة

---

(١) سورة البقرة: آية ١٨٥.

الإنسان، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

● والصوم مدرسة تهذيبية، يهذِّب النفس البشرية، بما يغرسه فيها من خوف الله عزَّ وجلَّ، ومراقبته في السرِّ والعَلَن، إذ يرى الصائم الطعام الشهيَّ وهو جائع، ويرى الماء العذب البارد وهو عطشان، فلا يقرب الطعام ولا الشراب، طلباً لرضى الله، فيتدرب المسلم على الصبر، على تحمل المشاق في سبيل الله، ولهذا جاء في الحديث الشريف «الصيامُ نصفُ الصبر»[1].

● والصوم يعوِّد الإنسان على حب الخير والإحسان، ويقوِّي فيه عاطفة الرحمة والأخوَّة الإيمانية، والشعور برابطة التضامن والتعاون بين المسلمين، فيجعل منه إنساناً رقيق القلب، طيِّب النفس، يحسُّ بإحساس الفقير، فيمدُّ إليه يد المساعدة والعون، فيمسح دمعة البائس، ويزيل كربة المسكين.

روى أنَّ نبيَّ الله «يوسف الصدِّيق» عليه السلام، كان يكثر من الصيام تطوعاً لله عزَّ وجلَّ، فقيل له: لِمَ تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال كلمته الحكيمة: «أخشى إن أنا شبعتُ أن أنسى الجائع» وحقاً إنها لحكمة بليغة في مفهوم غاية الصيام!!

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم ١٧٤٥.

● والصوم يجدِّد حياة الإنسان، بتجدّد الخلايا في الجسم، ويريح المعدة وجهاز الهضم، فيتخلَّص الصائم من كثير من الفضلات المترسبة في البدن، والعفونات التي تتركها الأطعمة والأشربة في المعدة، ولهذا ينصح الأطباء المرضى، بالحمية لفترة من الزمن عن كثير من الأطعمة، ومن هنا ندرك سرَّ قول الرسول ﷺ: «صوموا تصحُّوا، واغزوا تغنموا»[1] فليس الصوم إلاَّ صحة للبدن، يجدِّد حيويته ونشاطه، وما أحسن قول طبيب العرب ابن كِلْدة: «المعدة بيتُ الداء، والحميةُ رأسُ كلِّ دواء»!!

«شروط وجوب الصوم»

صوم رمضان فريضة على كل مسلم، عاقل، بالغ، صحيح غير مريض، مقيم غير مسافر، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس، أما الشروط الثلاثة الأولى «الإسلام، والعقل، والبلوغ» فهي الشروط الأساسية للتكليف في جميع العبادات، من صلاة، وزكاة، وحج، وغير ذلك.

---

(١) الحديث أخرجه ابن السُنّي، وأبو نُعيم في الطب، وهو حديث حسن.

أما الإسلام: فلأنَّ الكافر ليس أهلاً للعبادة، لأنه ملحقٌ بالبهائم والأنعام، فلا يُكلَّف بالتكاليف الشرعية ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وأمَّا العقل والبلوغ فهما أساسُ التكليف، لأن الصبيَّ والمجنون غير مخاطبَيْن، وقد رُفع عنهما القلم، لقول النبي ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيِّ حتى يحتلم - أي يبلغ سن الرشد - وعن المجنون حتى يعقل»[2].

«حكم الحائض والنفساء»

أما الحائض والنفساء فلا يصح منهما الصوم، كما لا تصح منهما الصلاة، لعدم الطهارة، فتفطران وتقضيان، وقد اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر على الحائض، والنفساء، ويحرم عليهما الصيام، وإذا صامتا لم يصحَّ صومهما ويقع باطلاً، وعليهما قضاء ما فاتهما، لما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنَّا نحيض على عهد رسول الله ﷺ، فنؤمر

---

(١) سورة الأنفال: آية ٥٥.

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسَّنه الترمذي.

بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[1]. والصبيُّ - وإن كان الصيام غير مفروض عليه - إلاَّ أنه ينبغي على أهله، أن يأمروه به، ليتعوَّد على العبادة منذ نعومة أظفاره، ولينشأ على حب الخير والطاعة، فتصبح فرائض الإسلام سجيَّةً يؤديها برغبةٍ وشوق.

روى البخاري عن الرُّبَيِّع بنتِ معوِّذٍ أنها قالت:

«كنَّا نُصوِّمُ صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد، فنجعل لهم اللُّعبة من العِهْنِ - أي الصوف - فإذا بكى أحدهم من الطعام - أي طلباً للطعام - أعطيناه إيَّاه، حتى يكون عند الإفطار»[2].

وفي هذا العمل تربية وتوجيه للطفل، على التعود على الاستمساك بفرائض الإسلام، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام، وجَّههم إلى تعليم الطفل على الصلاة منذ الصغر، حتى لا تصعب عليه هذه التكاليف عند الكبر، فقال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها - أي على تركها - وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[3] أي افصلوا

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٣٣٤ ومسلم رقم ٣٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٣٣٥ ومسلم رقم ١١٣٦.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٤ والترمذي رقم ٤٠٧ وقال: حديث حسن.

بين الذكور والإناث عند النوم، لأن سن العاشرة هي بداية سنِّ المراهقة، لئلا يحدث بينهم ما يخالف الآداب الشرعية.

* * *